الجنون ومولد الطب النفسى عند ميشيل فوكو

ميرفت سيد رضوان محمد
معيدة بقسم الدراسات الفلسفية
كلية الآداب – جامعة عين شمس
ahmedaboalia582@gmail.com

الملخص :

يتناول البحث موضوع الجنون وعلاقة الجنون بالمرض العقلي وذلك عن طريق تناول الملامح العامة لتاريخ الجنون في الثقافة الغربية والمعالجات التي تمت لها عبر العصور المختلفة بدءًا من عصر النهضة ومرورًا بالعصر الكلاسيكي حتى العصر الحديث حيث يعتبر كتاب تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي من أهم أعمال ميشيل فوكو ليس فقط في تناول تاريخ التعامل مع الجنون بل لأنه يطرح لأول مرة فكرته الأساسية حول العلاقة بين السلطة والمعرفة بالإضافة على دراسة تشكل الخطاب النفسي وعلاقة ذلك بالتعامل مع الجنون داخل المؤسسات المختلفة بداية من الحجز الكبير وحتى المصحة النفسية.

كما يهدف هذا البحث إلى التعرف على الكيفية التي عالج بها كتاب تاريخ الجنون الانقسام بين العقل والجنون وفتح أسلوب الحوار في إشكالية العلاقة بينهما في مجال الفلسفة الحديثة والمعاصرة من أجل الكشف عن الجانب الغامض للإنسان ألا وهو الجنون.

الكلمات المفتاحية: ميشيل فوكو، الجنون، العصر الكلاسيكي، عصر النهضة، المصحة النفسية، الخطاب، البانوبتيكون، السلطة، الانضباط.

لقد احتل الخطاب الطبي و النفسي الباثولوجي على وجه خاص مكانة كبيرة فى أعمال ميشيل فوكو حيث اهتم فوكو بدراسة كتاب(تاريخ الجنون فى العصر الكلاسيكى) ففى البداية كان يسمى (المرض العقلى والشخصية) عام ١٩٥٤ وبعد ذلك تحول عنوانه إلى (المرض العقلى والسيكولوجيا)١٩٦٢ والذى أعيد طبعه ١٩٦٤مرة أخرى بعنوان (تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي) [١]

لقد حاز الجنون على الاهتمام الأكبر لدى ميشيل فوكو حيث سعى إلى دراسة الجنون دراسة تاريخية نظرا لوجود رؤى مختلفة للجنون فى العصور المختلفة، والتى حاول الكشف عنها، أولا :**العصور القديمة؛** أعتبر الجنون ظاهرة روحية غيبية ترتبط بفكرة الأرواح الشريرة حيث يمثل نوعًا من المس والسحر لذلك نادرا ما نجد حالات من الجنون لها أسباب مرضية ولكن هذه النظرة الجنون تغيرت عبر المراحل التالية [٢]

أما **العصور الوسطي**: فقد قام فوكو بتحليل الجنون في تلك الفترة من خلال ما أطلق عليه (سفن الحمقي)[*] ففي هذه الفترة كان المجانين يطردون من المدينة ويعهد بهم إلى بعض السفن والتي كان يستبعد فيها المجانين ليلقوا مصيرهم مع سريان الأنهار [٣]

عصر النهضة : قام فوكو بتحليل تصور الفيلسوف مونتانيmontaigne [*] (فيلسوف عصر النهضة) للجنون حيث عبر مونتاني عن وجود ترابط داخلى بين العقل والجنون

---

(١) محمد على الكردي، نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية, ص١٥٩.

(٢) كلود كيتيل، تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا، ترجمة: سارة رجائي يوسف، مراجعة: داليا محمد السيد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة, ط١، ٢٠١٢، ص١٧.

(*) (سفن الحمقي) هي أسطورة من بين الأساطيل الروائية وكانت مجرد تأليف أدبي وقد أصبحت تأليفات هذه السفن تنقل حمولتها الجنونية من مدينة لأخرى والحمقي كانو يعيشون حياة الترحال وهذه الممارسة كانت سائدة في ألمانيا فالسفينة وإبحار المجانين كان له دلالات رمزية. أما عن مؤسس سُفن الحمقي هو سباسيتان برانت(١٤٥٨– ١٥٢١) وهو عالم انسانيا ومسيحيا وقد نشر كتاب سفينة الحمقى للمرة الأولي في مدينة بازل ١٤٩٤ نقلا عن كتاب محمد المزوغني، نيتشه – هايد جر – فوكو (تفكيك ونقد)، دار نيبور للطباعة والنشر، ٢٠١٤، ص٣٥١.

(٣) ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة. سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي،المغرب, ط١، ٢٠٠٦، ص٢٩.

أى ارتبطت الحكمة بالجنون وبالتالى كان للجنون جانب أسطوري يجمعنا معه ويهددنا به فى نفس الوقت حيث من الممكن لأي شخص أن يمر به و يتعرض له. [١]

العصر الكلاسيكى : إذا كان عصر النهضة قد حرر صوت الجنون فإن العصر الكلاسيكي(عصر العقل) تم فرض الصمت عليه ووصفه بالا عقل وإرتد به إلى الصمت .

لقد احتل ديكارت دورا مهما فى مرحلة العصر الكلاسيكى وبالتالى تم إقصاء الجنون من التأملات الديكارتية كما يتم إستبعاد المجانين فى بيوت الحجز خلال القرنين السابع والثامن عشر [٢].إلا أن مؤسسة الحجز أو بيوت الحجز كانت تضم المجانين مع غيرهم من السفهاء والفقراء والمجرمين والشحاذين اللذين كانوا يشكلون خطرا يهدد أمن المجتمع ولقد دخل هؤلاء المجانين لعالم العزلة وظل هؤلاء المساجين يتواجدون فى ظلام السجن قرنا بعد قرن إلى أن أخذ أمرهم ينكشف بعد أن كثرت الشكاوى منهم [٣].إلا أن الجنون فى العصر الكلاسيكى كان بمثابة جريمة تستحق النفى والحبس والاقصاء وكان يعامل المجنون داخل المؤسسة بوصفه حيوانا فقد آدميته وإنسانيته .

كان للعزل دوراً هاماً ولكن منذ عام (١٧٧٠) بدأ العزل يفقد دوره كعامل إقتصادى وانحسرت وظيفته فى إيواء المرضى والمعدومين من الفقراء كما توافق هذا التاريخ مع الأزمات الاقتصادية في انجلترا وفرنسا فقد رأي الاقتصاديون في ذلك

(*) ميشيل دي مونتين (١٥٣٣– ١٩٨٢) Michel de montigne مونتانى أخلاقي فرنسي ولو في عصر يتميز بالأنسية وقد أشتهر بكتاب واحد وهو المقالات وقد ظهرت الطبعة الأولي فى بوردو ١٥٨٠ وأعيد طبعها في ١٥٨٢ والأدق أن نسمي محاولاته بدل مقالاته وكان يتجلي موقف مونتاني الفكري فى الشك تأثرا بالرواقية.

نقلاً عن كتاب: شلو حلو، موسوعة اعلام الفلسفة، إعداد: أ. رودني إيلي ألفا، مراجعة: جورج نخل، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢، ج٢، ص٤٥٨.

(١) عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، دار المعارف، ١٩٨٩، الاسكندرية ,ص١٦١.

(2) Nick butler,(Dueling with dualisms: Descartes, Foucault. And the history of organization limits) ,university of st Andrews.

(3)محمد على الكردى ,وجوه وقضايا فلسفية (ديدرو _بطاى_فوكو),دار ومطابع المستقبل,الاسكندرية , ١٩٩٨ص١١٤

الوقت أن العزل خطأ اقتصادي فالسكان هم أحد عناصر الثروة والثراء يرتبط بالعمل كما نبه هؤلاء الاقتصاديون أن رعاية الدولة لفرد عاطل(لا يعمل) يكون على حساب الأفراد العاملين والرعاية الوحيدة التي يمكن للدولة أن توفرها للأفراد هي إزالة العوائق التي تحد من حريتهم(١).

وعلى ضوء ما سبق أكد فوكو ان فصل الجنون جاء كاستجابة للنقد السياسي للحجز من الشكاوي المرفوعة من المحجوزين للذين يرفضون أن يحجزوا مع المجانين ويتحملوا عب عنفهم وقد استلزم الأمر كما يري فوكو تمييز حاسم بين المحجوزين الفقراء القادرين على العمل وغير القادرين على العمل اللذين شكلوا فئة(العاطلين) فيتم مساعدتهم لأسباب أخلاقية وهي تشمل المجرمين والمجانين فقد انفصل ما كان يربطهم قديمًا في فئة واحدة: العاطلين idle ليشكلوا نزلاء المؤسسات المتميزة للقرن التاسع عشر: المستشفي – السجن – المصحة (٢).

خلاصة القول أن المرحلة التي ظهرت فيها التفرقة بين العقل والجنون قد تحددت في الفترة ما بين تأسيس المستشفي العام سنة ١٦٥٧ وتحرير المساجين من المجانين سنة ١٧٩٤ على يد الدكتور بينيل مما مهد السبيل فيما بعد لظهور الطب العقلي (٣).

العصر الحديث (عصر الطب النفسى):إ ننا أمام نظرة جديدة للجنون نظرة أكثر موضوعية تشكلت فى القرن التاسع عشر وهى المصحة العقلية حيث يلعب كلاً من الاصلاحيين بينيل الفرنسى وتوك الإنجليزى دوراً اساسياً فى هذه الفترة فكانت الوظيفة الطبية تقوم على الفصل بين المجانين والمجرمين وتخليص موضوع الجنون من الزيف والخداع ونزع القيود من المعتوهين فكان لهم دور في خلق نوع من الأسطورة وتحرير المجنون ورده إلى طبيعته وآدميته التى كان يسلبها منه فى العصر الكلاسيكى (٤).

وبناء على ما سبق قام فوكو بتحليل العمليات التي تتأسست عليها السلطة في المصحة من خلال دراسته للمأوي retreat الذي أسسه توك قائد المصلحين الصحابين

(١) عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة ,مرجع السابق ، ص١٩٢.

(٢) نشوي محرم، رسالة ماجستير بعنوان مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو ,جامعة عين شمس ,١٩٩٧ ، ص ١٦٢-١٦٤.

(٣) زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر ,القاهرة ,١٩٧٥ ,ص١١٧.

(٤) محمد الكردي، نظرية المعرفة والسلطة،مرجع سابق , ص٢٣٣-٢٣٤.

كويكرز في إنجلترا والمصحة التي أسسها بينيل Pinel قائد الأطباء العقليين ومن أهم الاختلافات بين هاتين المؤسستين هو دور الدين فقد كان المأوي الخاص بتوك يعمل كأداة لعزل المجانين على أساس ديني وأخلاقي حيث كان الدين يلعب دور مزدوج بوصفه شيئًا طبيعيًا ارتبط بحياة الأفراد اليومية وبوصفه قاعدة أخلاقية أما بينيل فهو يرفض الدين كأساس للعزل فهو يعتقد أن الدين من الأسباب المولدة للجنون فهو يحتفظ بالدين كحقيقة أخلاقية فقط [١].

ولقد عكست فكرة المصحة التحول الثقافي من الدين إلى العلمانية العلمية ففى البداية كان الاهتمام بالتقليد المسيحي بين المؤمنين والهراطقة والقديسيين أما التفريق بين العاقل والمجنون فلم تكن له أهمية ولكن الوضع اختلف وأصبحت القسمة منذ عصر العقل قائمة بين العقلاني وما سواه وقد حدد هذا الفصل عبر أسوار المصحات فاستبدلت مفاتيح القديس بطرس بمفاتيح الطب العقلي وأصبحت مؤسسة المصحة نطاقًا يرسم الخط الفاصل بين الطبيعي والمجنون [٢]

فبعد أن عرض فوكو قصص بينيل وتوك تطرق إلى نقطة مهمة هى عدم إنكاره للإسهامات التي قدمها كلاً من بينيل وتوك في تأسيس مؤسسة المصحة النفسية إلا أن الإصلاحات التي قدموها لم تقدم العلاج للمرضي إنما هي تعتبر نوع من المؤسسات يهاجم الجنون ويعتقله [٣].

بالإضافة إلى ذلك إن الإصلاحيين توك الإنجليزي وبينل الفرنسي لم يدخلا الطب إلى المصحة إنما أدخل شخصية الطبيب الذي كان غائبًا منذ تجربة العزل السابقة بما يمثل هيبة على المستوي الأخلاقي والاجتماعي ولعل أهم الوظائف التي قام بها الطبيب هي فرضه نوعًا من الوصاية والحماية على شخصية المريض القاصرة [٤].

وإذا تطرقنا إلى الوسائل التي إستخدمها بينال في علاج المرضي سنجد:-**أولها: الصمت** هو الوسيلة أو التقنية الأولي التي أتبعها الطبيب تجاه المجنون بمعنى صمت المجنون عن أوهامه وخرافاته فهي وسيلة تبدو ظاهريًا من وجهة نظر فوكو تؤدي إلى

---

(١) نشوي محرم، مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو،مرجع سابق, ص١٦٦.

(٢) روي بورتر، موجز تاريخ الجنون, ترجمة :ناصر مصطفى ,مراجعة :احمد خريس ,هيئة ابو ظبى للثقافة والتراث ,ابو ظبى ,ط١, ٢٠١٢, ص١٤٥.

(3) Arthur Still and Irving velody," Rewriting the history of madness, studies in foucault's Historie de la fole, london and new york, 1992,p.26

(٤) محمد الكردي، نظرية المعرفة والسلطة، مرجع سابق ,ص٢٣٥.

تحرير المجنون من قيوده وعودته لصوابه ولكن الصمت هنا يختلف عن الصمت فى العصر الكلاسيكى فالصمت في العصر الكلاسيكي لم يكن كليًا فاللغة داخله في الأشياء وظل هناك حوار صامت بين العقل واللا عقل متمثل في السجون ودور الحجز أما الصمت في المصحةهو صمت مطلق وتام فلا وجود للغة مشتركة بين العقل والجنون [١].

أما عن التقنية الثانية هي الملاحظة من خلال المرآة:

تضمنت تلك التقنية أن يدرك المجنون نفسه كمجنون من خلال ملاحظة جنون الآخرين والتي هي ذاتها أوهامه بطريقة غير مباشرة كما لو كان ينظر في المرأة كمجنون مثلهم [٢]

أما عن التقنية الثالثة هي المحاكمة الأبدية: ميشيل فوكو لم يكتفي بإتهامه لتوك وبينال بالتزوير والاضطهاد في طريقة معالجتهم للمرض وأكثر من ذلك فقد عملا على تحويل دور العلاج إلى محاكم تفتيش تقاضى الاعقل وتعتقله ومن وجهة نظر فوكو أن بينال حول المارستان إلى عالم محاكمات وجحيم فى تعذيب المرضي والمسئول عنها والقائم عليها فكل المجانين يخضعون لهذه المعاملات القاسية اللإنسانية. خلاصة القول: فوكو لا ينتهي من نقد الطبيب بينال حيث تخلي عن مهمة العلاج وتجردت منه الآدمية ولذلك فإن مارستان العلم الوضعي ليس مكان للعلاج والتشخيص وإنما قضاء ومحكمة [٣].

نرجع مرة أخرى إلى أخر تقنية يشير إليها فوكو والتى قام بها الطبيب بينال في علاج المرضي هي تمجيد الشخصية الطبية والتى لعبت دورًا مهمًا في علاج المرضي في المصحة فهذه السلطة الطبية لا تستمد من كثرة المعلومات الطبية بل من دوره الذي يماثل دور الحكيم لما له من وظيفة قضائية وأخلاقية وهذا يبرز لنا مكانة الطبيب في البيمارستان الحديث. [٤]هذا بالاضافة إلى إعطاء القدسية لشخصية الطبيب وتضخيم دوره إلى درجة الإعجاز فهو صانع المعجزات بالنسبة للمريض ويستمد منه سلطته بدلاً من أن يستمدها من العائلة والنظام بل يستمدها من الطبيب فالطبيب يكشف عن حقيقة المرض العقلي في المفهوم النقدي للجنون من خلال الثنائي (الطبيب، المريض)

---

(١) محمد المزوغي،(نيتشه، هايدغر، فوكو) "تفكيك ونقد"، دار نيبور للطباعة والنشر ,العراق,ط١, ٢٠١٤ص٣٨٨.

(٢) نشوي محرم، مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو, مرجع سابق ، ص١٦٨.

(٣) محمد المزوغي، نيتشه، هايدغر، فوكو ,مرجع سابق، ص٣٨٩_ ٣٩١.

(٤) عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة ,مرجع سابق، ص١٩٥.

[١]. فالطبيب هو المستشار والقاضي والخبير والأب في فن الحكم فلا يعمل كمعالج بل تتمتع بامتيازات اقتصادية واجتماعية وسياسية فى القرن التاسع عشر [٢].

وبشكل عام ركز ميشيل فوكو في كتابه (مولد العيادة) فى القرن التاسع عشر على تجريب الدواء ونشره في مجتمع قضي على التمييز الطبقي والمساواة السياسية فأدى ذلك إلى ازدحام المستشفيات وجعلت منها أماكن مكلفة وإزاء هذا الوضع أصبح إرسال المرضي إلى عائلتهم أمرًا مرغوبًا فيه وتقاربت أفكار كلاً من الأطباء والسياسيين عندما أصبح لكلا منهم من الأفضل إبقاء المريض في منازلهم وخاصة الفقراء فالطبيب يعالج المرضي الفقراء مقابل أجر [٣].

وبذلك أصبحنا أمام حقبة جديدة من المعرفة عند فوكو فلقد تغير مكان العلاج وأنتقل المرض إلى خارج المستشفيات، بل إلى منازلهم، وأخذ الأطباء بدلاً من إدانتهم للدولة وإهمالها بل أخذوا يحثون الدولة على تشريع القوانين وتقديم الدعم المالي للبحث الطبي [٤]،

وقد ترتب على ما سبق ان قضية الجنون أصبحت قضية تخص الأطباء والمحاماة والشرطة وهذا واضح في كتاب "المراقبة والعقاب" فيفتتح فوكو كتابه (المراقبة والعقاب بلوحات تبرز السجون والزنازين ومدى الوحشية والتعذيب الذي يمارس على الجنون أو الشخص المحكوم عليه فالتعذيب تقنية أو عملية منظمة فهو أشبه بعمل درامي مسرحي وما دام أى عمل درامي يهدف إلى إيصال الرسالة فالغرض من التعذيب هو أن كل عقوبة يجب أن تتضمن شيئًا من التعذيب الذي يمارس على جسد المتهم فالتعذيب هو موضوع يجمع بين المفاهيم الثلاثة هي= السلطة – الحقيقة – الجسد فالجسد هو موضوع اللقاء التقليدي بين الحقيقية والسلطة[٥].

---

(١) كلود كيتيل، تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا ,مرجع سابق ، ص٢٦٣.

(2) Paul Rabinow, the Foucault reader, pantheon books ,1984, new york , P. 284.

(٣) اديث كريزول ,عصر البنيوية,ترجمة :جابر عصفور ,دار سعاد الصباح ,الكويت ,ط١ ١٩٩٣,ص٣٠٣

(٤) إديت كريزول، عصر البنيوية,مرجع سابق، ص٣٠٤.

(٥) حيدر ناظم محمد، إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي الى الابداع المفهومى "قراءة فى فلسفتى ميشيل فوكو وجيل دولوز",ابن النديم للنشر والتوزيع ,دار الروافد الثقافية ,الجزائر ,ط١, ٢٠١٥، ص١٢٢-١٢٣.

لقد تناول كتاب (المراقبة والعقاب) نظام السجون واللحظة التي كانت تطبق فيها ممارسات الرقابة على المجنون وضبط الفرد المنحرف[١] إن الانتقال من التعذيب إلى العقاب حدث بسبب نزع النزعة الإنسانية وحل محله العقاب إلا أن الأسباب تعود الى ظروف سياسية وقضائية تدعو الى إيجاد وسيلة جديدة للعقاب غير التعذيب الذي كانت تمارسه السلطة وهكذا تغيرت النظرة من فرد في الرعية إلى خطر على الملك إلى مواطن في المجتمع محكوم بالعقد الاجتماعي[٢].

إن العقاب استلزم تشييد سجون جديدة فالسجن في بداية القرن التاسع عشر هو القيمة الكبرى للهندسة المعمارية الوظيفية في فرنسا فالمشفي وبالأخص مصحة الأمراض العقلية يشكلان تجسيدًا لنظرية معمارية هو البانوبتيكون.[٣] البانوبتيكون هو نوع من السجون مكون من مبنيان دائريًان متداخلان مع بعضهما البعض فيتكون المبني المحيط من شقق للسجناء مع وجود زنازين مفتوحة من الداخل وهناك برج يحتل الوسط، وهو مسكن للمراقبين يحيط بمكان للمراقبة وهذا المكان يتيح للراقب أن ينظر داخل الزنازين دون أ ن يراه أحد [٤].

إذا كان البانوبتيكون قد جري تصميمه كنموذج معماري للسجن الحديث حيث لاقي إهتمام من قبل الفيلسوف بنتام فإنما يرجع ذلك إلى الأهمية المحورية للسجن بوصفه شكل للعقاب الذي يناسب السلطة الإنضباطية الحديثة لقد حل السجن محل التعذيب وأشكال العقاب الأخرى إذن فالسجن على خلاف ما يجري تصويره كمجرد جهاز ملحق بالقضاء يتولي تنفيذ أحكامه فهو جهاز انضباطي يقوم بتقويم الفرد جسديًا ويعده للعمل ولتحقيق ذلك لابد أن يستند إلى ثلاثة مبادئ[٥].

أولا -العزل أي عزل المدان (المتهم) عن العالم الخارجي وعزله عن الاختلاط بالأفراد السيئين من ناحية أخرى فالعزل مبدأ أساسي في أي مؤسسة سواء عزل كامل

---

(1) Paul Rabinow and Nikolas Rose (eds) Foucault Today, new york, 2003, P.8.

(٢) الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو,المجلس الاعلى للثقافة ,٢٠٠٠، ص٢٢٢-٢٢٣

(٣) كلود كيتل, تاريخ الجنون في العصور القديمة,مرجع سابق ، ص٣١٦.

(4) Michel Foucault, (Panopticism) from discipline punish: the birth of the prison, volume 2, Indiana university press, 2008, P5.

(٥) نشوي محرم، مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو ,مرجع سابق ، ص١٩٢.

في المصحة النفسية أو السجن أو شبه كامل في المدارس والمصانع كي يتيح إمكانية التحكم الإنضباطي في أي مؤسسة انضباطية. ثانيا-العمل: فقد أكد فوكو على أن العمل في السجن ليس هدفه النشاط الإنتاجي بل يعمل كآلية تساعد على الضبط والتقويم فالسلع التي تنتج لا قيمة لها داخل السجن بل أن ما ينتجه العمل داخل السجن هو الأفراد المنضبطين.ثالثا-مبدأ استقلالية السجن: فالسجن يهدف إلى إصلاح المدانيين وضبطهم وليس حرمانهم من الحرية فقد سعت مؤسسة السجن إلى الاستقلال عن القضاء فأصبح السجن أداء لتغيير العقوبة فالوقت الذي يقضيه المدان في السجن لا يكون وقتًا مقاسًا بل وقتا غائيًا[١].

إذن يشير فوكو إلى الوظيفة الإنتاجية التي يلعبها السجن ليس كنموذج عقابي بل كنموذج إصلاحي وتربوي وهو دور تشترك فيه مع السجن كثير من المؤسسات مثل المدارس كما أشرنا في نشر الضبط ومن ثم يستطيع فوكو ربط الممارسات المعرفية وما ينتج عنها وتطويعهم بحيث يتم دمجهم في الآلة الإنتاجية للمجتمع الرأسمالي وليس عزلهم وقمعهم كما كان سائدًا في العصر الكلاسيكي.[٢]

فالانضباط ممارسة تستخدمها المؤسسات كأداة أساسية سواء فى المدارس أو المستشفيات وكذلك فى السجون والإصلاحيات فى القرن التاسع عشر من أجل إعادة ضبط الفرد داخل المجموعة.[٣]

إذن يتضح مما سبق إن فوكو قد ربط بين مؤسسة السجن والسلطة الانضباطية فمع نشأة السجن ترك التعذيب الذي كان أولى الممارسات التي تطبق على المجنون ليعترف بجريمته ومن بعد ذلك العقاب ومع السجن تحول المجرم من الحرمان من الحرية إلى ضبطه وإصلاحه أي أن السجن حقق أهداف السلطة الانضباطية وهي الضبط والتقويم والإصلاح.[٤]

فالسلطة لا تعني مجموعة المؤسسات والأجهزة التي تضمن خضوع المواطنين في إطار دولة ما إنما هي مجموعة من علاقات القوي ضمن استراتيجيات محددة هذه العلاقات

---

(١) نشوي محرم، مفهوم السلطة,نفس المرجع السابق ، ص١٩٢-١٩٣.

(٢) محمد على الكردي، نظرية المعرفة والسلطة,مرجع سابق ، ص١١.

(٣) Miehel Foucault,(Discipline and punish) the birth of the prison ,A lan sheridan (tras) a division of random house,inc, New York, p2 15.

(٤) ميشيل فوكو، نظام الخطاب,ترجمة :محمد سبيلا ,١٩٧٠ , ص٦٤

تتميز بكونها في إستراتيجيات تتجسد في أجهزة الدولة [١]. ومن وجهة نظر فوكو لايمكن ممارسة السلطة بدون معرفة والعكس من المستحيل للمعرفة عدم توليد السلطة فالسلطة تمارس ولا تمتلك من أى شخص كما إنها تتميز بأنها منتجة ولا تتميز بالقمع.[٢]

كذلك السلطة ليس لها مركز واحد يجب البحث عنه في مؤسسات وأجهزة الدولة كالأجهزة العميقة كالشرطة والجيش والأجهزة السياسية مثل الحكومة والقضاء إنما هي علاقة قوي مثلها مثل علاقات الحرب إذن فالسلطة ليس مؤسسة ولا جهاز بل هي منتشرة على الجسد الاجتماعي كله فهي حاضرة في كل مكان ومنتشرة في ضوء السلطة في نظر فوكو يعود أساسًا إلي ميزتها الأساسية وهي كونها منتجة تنتج في كل مكان ومن هنا كان حضورها الكلي فوق الجسد الاجتماعي في علاقة الأب بالعائلة والأستاذ والتلميذ والحاكم والمحكوم [٣]

ويمكن استخلاص أهم النتائج التى توصلنا إليها فى عدة نقاط –

-يعد كتاب ميشيل فوكو عن تاريخ الجنون من أهم كتبه فقد تناول فيه نظرة المجتمع للجنون واختلفت هذه النظرة من حقبة إلى أخرى فمثلا المجنون فى العصر الكلاسيكى يعامل المجنون بقسوة ووحشية كأنه حيوان بلا عقل، بحبسه داخل الحجز لا فرق بينه وبين المجرمين والشحاذين وكان يلاقى معاملة غير آدمية فالحجز فى القرن السابع عشر يضم كل الفئات من المجانين والعاهرين والمتسولين.

- إلا أن فصل الجنون بوصفه لا عقل أى كمرض عقلى تم فى القرن التاسع عشر كإستجابة للشكاوى المرفوعة من المحجوزين مع المجانين وذلك تم فى العصر الوضعى "عصر الطب النفسى" الذى أظهر حقيقة الجنون فى العقل البشرى وأظهر تقدم فى طرق علاج المريض مقارنة بالعصر الكلاسيكى الذى رفض الجنون باعتباره غياب للعقل فهذه الأحداث كان لها سبب فى ظهور المصحة العقلية.

-إن الانتقال من التفرقة بين المؤمنين والهراطقة إلى التفرقة بين العاقل والمجنون كان سبب فى مولد الطب النفسى أى بين السلطة الأبوية والسلطة العلمية أى حلول الطب العقلى بدل الكنيسة وحلول كلمة مريض بدل مجنون.

---

(١) الزواوى بغورة ,مفهوم الخطاب فى فلسفة ميشيل فوكو , مرجع سابق ص٢٣٣.

(٢) Nanci ali ,Michel foucault ;A brief introduction to major Foucaultian themes ,Sheffield hallam university ,2016, p4

(٣) الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو،مرجع سابق , ص٢٣٤.

–ولكن يؤخذ على كلاً من المؤسستين : الحجز الكبير فى القرن السابع عشر والمصحة العقلية فى القرن التاسع عشر إنهم عاملوا المجنون بشكل غير آدمى ولكن لكلاً منهما طريقته بمعنى فى العصر الكلاسيكى المجنون يعامل كحيوان سلب منه عقله أما المصحة التى أقامها بينال وتوك تدعى بأنها تعالج المرضى وتعمل على تحرير المجانين ولكن فى الحقيقة هى بمثابة محكمة تقوم بتعذيب المريض من أجل الإعتراف بالخطأ ومن ثم عقابه فى السجن كمتهم ومحاكمته محاكمة أبدية .

-يؤخذ أيضاً على المصحة العقلية تمجيد الشخصية الطبية داخل المصحة الذى كان يمثل الحكيم والقاضى والطبيب والأب وصانع المعجزات وعلى المريض الخضوع له وطاعته من أجل شفائه فالعصر الوضعى أعطى القدسية للطبيب

-الصمت كان يحتل مكانة فى المؤسستين الحجز والمصحة ولكن اختلف الصمت فى العصر الكلاسيكى فكان غير تام بمعنى الطبيب جعل المجنون يصمت عن أوهامه وخرافاته ولكن يوجد حوار صامت بين العقل والاعقل ولكن بالنسبة للمصحة فالصمت مطلق وتام فلا يوجد لغة مشتركة بين العقل والجنون

-البانوبتيكون هو نوع من السجون يراقب المجنون من بعيد وقد أهتم به الفيلسوف بنتام فقد حل السجن محل التعذيب كشكل للعقاب فالسجن قام بأهداف من أهمها عزل المتهم عن العالم والعمل والإنتاج داخل السجن كوسيلة للضبط والإصلاح والإستقلال عن القضاء وبذلك ربط فوكو بين مؤسسة السجن والسلطة الإنضباطية .

المصادر العربية

- ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة: سعيد بنگراد، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٦.

_ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، دار التنوير.

المراجع العربية

الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلي للثقافة، ٢٠٠٠.

_إديت كريزول، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار جهاد الصباح، ط١، ١٩٩٢.

حيدر ناظم محمد، إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي إلى الإبداع المفهومي (قراءة في فلسفة ميشيل فوكو وجيل دولوز)، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥.

روي بورتر، موجز تاريخ الجنون، ترجمة: ناصر مصطفي، مراجعة، أحمد فريس هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط١، ٢٠١٢.

زكريا إبراهيم، مشكلة البنية(أضواء على البنيوية)، مكتبة مصر، ١٩٧٥.
عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، دار المعارف، ١٩٨٩.
كلود كيتيل، تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا، ترجمة: سارة رجائي يوسف، كريستيا فكري، مراجعة: داليا محمد السيد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠٠٥.
محمد المزوغي، (نيتشه_ هايدغر_ فوكو)" تفكيك ونقد"، دار نيبور للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٤.
محمد على الكردي، نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، دار المعرفة الجامعية.
محمد على الكردى (وجوه وقضايا فلسفية"ديدرو _بطاى _فوكو)

الرسائل العلمية

- نشوي محرم، مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو,جامعة عين شمس, ١٩٩٧.
- الموسوعات العربية
- شلو حلو، موسوعة اعلام الفلسفة ج٢، إعداد: أ. رودني إيلي ألفا، مراجعة: جورج نخل، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢،

المراجع الاجنبية

1- Nick butler,(Dueling with dualisms:
Descartes, Foucault. And the history of organization limits) ,university of st Andrew

2- Arthur Still and Irving velody," Rewriting the history of madness, studies in foucault's Historie de la fole, london and new york, 1992,

3- Paul Rabinow, the Foucault reader, pantheon books ,1984, new york

4- Paul Rabinow and Nikolas Rose (eds) Foucault Today, new york, 2003

5- Michel Foucault, (Panopticism) from discipline punish: the birth of the prison, volume 2, Indiana university press, 2008

6- Nanci ali ,Michel foucault ;A brief introduction to major Foucaultian themes ,Sheffield hallam university ,2016

Madness and the birth of psychiatry at Michel Foucault.

Mirvat Syed Radwan Muhammad
Teaching Assistant, Department of Philosophical Studies
Faculty of Arts, Ain Shams University

Abstract:

The research deals with the topic of madness and the relationship of madness to mental illness by examining the general features of the history of madness in western culture and the treatments that have been made to it throughout the different ages, starting from the renaissance and passing through the classic age until the modern age. As the book on the history of madness in the classical age is considered on the most important works of Michel Foucault not only in dealing with the history of dealing with madness but also because it presents for the first time his basic idea about the relationship between power and knowledge in addition to studying the formation of psychological discourse and its relationship to dealing with madness but also because it presents for the first time his basic idea about the relationship between power and knowledge in addition to studying the formation of psychological discourse and its relationship to dealing with madness in different institutions starting form reservations the big and even the psychiatric hospital.

This research also aims to identify how the book on the history of madness has addressed the division between reason and madness and open a method of dialogue in the problem atic of their relationship in the field of modern contemporary philosophy in order to reveal the mysterious side of a person but madness.

key words: Michel Foucault, madness, the classical age, psychological clinic, panopticon, power, discourse, discipline.